الدكتور: طيبي الحاج: أستاذ محاضر

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا

جامعة الجزائر (2)

مقدمة:

يعتبر العنف من بين أول مظاهر السلوك التي عرفتها المجتمعات منذ زمن قديم، لكن معدلاته ارتفعت كثيرا خلال السنوات الأخيرة، كما أن أنواعا جديدة ظهرت لأول مرة ولا يكاد المجتمع المعاصر يخلو من بعض أشكاله، إلا أن بعض أسباب العنف مرتبطة ببعض خصائص المجتمع المعاصر وخصوصا ما يبدو وأنه تعبير عن ضغوطات ومشاعر الإحباط.

إذن، العنف حاضر في مجالات الحياة المعاصرة المتنوعة، فهو حاضر في المؤسسات الاجتماعية، في السجون والمدارس وغيرها كالملاعب والأحياء السكنية والشوارع...الخ، والأسرة مثلها مثل كل التنظيمات الاجتماعية الأخرى تعاني من ظاهرة العنف، غير أن العنف الذي يحدث داخل محيطها لم يحظ بالاهتمام الذي يستحقه من طرف الباحثين.

والعنف الأسري ليس صفة للأسرة المرضية أو غير السّوية ولكنّه يبدو كذلك في الأسرة العادية المحيطة بنا من كل مكان، ويمكن أن يظهر العنف في العلاقات بين الأفراد ومن هنا نرى أن الطفل في كل هذه المواقف في سياق عملية التنشئة يكون أكثر عرضة للخبرات العدوانية. ولما كانت الأسرة هي الخلية الدينامية الأولى التي تقوم بعدة وظائف تهدف كلها إلى نمو وتطور الأبناء وتكوين الحياة الاجتماعية بصفة عامة، لذا نجد للمعاملات السائدة بين أعضائها تأثيرا كبيرا على تربية الأطفال هاته الأخيرة التي تتصف بصفتين متناقضتين بحيث أنه إذا كانت هاته المعاملات يسودها الوفاق والتفاهم والاحترام يكون لها تأثيرا إيجابيا على تربية الأطفال. وينظر الكثير من الباحثين إلى العنف والعدوانية والخلافات الموجودة بين أفراد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسرة على أنه أمر متصل بمستجدات العصر فالمناخ الاجتماعي المتغير ذو أثر على نوعية العلاقات الداخلية بين الوالدين ببعضهما، وكذلك علاقة الوالدين بالأولاد مما يؤدي إلى فقدان الأسرة وظيفتها، ويظهر ذلك جليا في الطريقة التي يعامل بها الأولاد وكذلك في معاملة الأولاد لبعضهم البعض، فنوعية العلاقة الموجودة بين الوالدين لها دور جد مهم في تكوين الطفل سواء من النّاحية النّفسية أو الثّقافية والدّراسية خاصة.

فلقد جلب موضوع التّحصيل الدّراسي اهتمام وانشغال الكثير من المربين وعلماء النفس والإدارة المدرسية وحتى الأولياء، ووجهت نشاطاتهم نحو ميادين عديدة ومتنوعة للكشف عن العلاقة القائمة بين (التحصيل) وبين موضوعات أخرى والتأثيرات المتبادلة بينها.

والملاحظ أن بعض الأسر في مجتمعنا تسودها العدوانية والعنف، وهذا راجع لسوء التفاهم القائم بين الوالدين من الناحية الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية أو الدينية، وكذلك الاختلافات الحادة الموجودة بين الأولاد فيما بينهم والوالدين بين بعضهما البعض. الأمر الذي يبدو انعكاساته السلبية على التحصيل الدراسي للأولاد، ذلك ما أكدته الكثير من البحوث في هذا المجال.

بحيث يؤكد (ستورن) على العلاقة القائمة بين الفشل في القراءة وبين الأمان والهدوء والطمأنينة التي يشعر بها الطفل، كما أشارت (دورا سميث) إلى العلاقة بين الجو العاطفي والتأخر الدراسي بحيث وجدت أن 40٪ من حالات التأخر الدراسي ترجع إلى الاضطراب الانفعالي الذي يعانيه الأبناء، فالهدوء والطمأنينة والاستقرار السائدين بين أفراد الأسرة له دخل كبير في اتزانها.

تعتبر العدوانية من المواضيع الهامة جدا والتي لاقت اهتمام الكثير من العلماء والعياديين بحيث نجد في هذا الماجل دراسات ونظريات عدة، ذلك أنه سلوك يؤثر على نواحي عديدة من حياتنا وعلاقاتنا الإجتماعية، فهذا الجانب الانفعالي الظاهر سلوكيا هو أكثر الأعراض النفسية شيوعا في بعض البلدان الغربية. فعلى سبيل المثال في فرنسا حسب التلفزيون الفرنسي بلغت نسبة العنف عام 1980م، 44,89% وانتقلت عام 1990م إلى نسبة 61,6%، وأصبحت تقدر عام 1997م بـ 61,7%. وحسب بعض الإحصائيات في العالم وجد أن 23% من المراهقين أقدموا على الانتحار بسبب الخلافات مع الوالدين، مائتان واثنان وثمانون ألفا (282000) من الطلاب بالمدارس يتعرضون للاعتداء الجسدي كل شهر في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمريكا، مائتان وسبعون ألف مسدس (270,000) يحمله طلاب المتوسطات والثانويات في الولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى أن ثلاثة (3) ملايين عمل إجرامي من كل الأنواع يقترف سنويا في المؤسسات المدرسية أو التعليمية بأمريكا، كما لوحظ انتشار ظاهرة العنف لدى الأطفال خاصة بحيث بلغت نسبته 17,85% بفرنسا في محيط 100 ألف ساكن أما في السويد فقد بلغت نسبة عنف الصغار 9,31% في محيط 100 ألف ساكن.

إن استجابة الطفل بالعدوانية للمعاملة الوالدية سواء كانت عقابية أو تدليلية، ما هي إلا رفض أو استغلال لهذه الوضعية.

إن موضوع المعاملة الوالدية وعلاقتها بظهور السلوك العدواني يعتبر موضوعا نفسيا اجتماعيا هاما، فهو جدير بالدراسة لكونه يثير الكثير من القضايا سواء على مستوى الفرد أو المجتمع. فالاهتمام بالطفل معناه الاهتمام بالجيل الصاعد الذي يعتبر الدعامة الأساسية لبناء مستقبل الأمم، والطفل لا يحظى بالاهتمام إلا داخل الأسرة، بحيث أن عدم الاستقرار بالجو العائلي والمعاملة الوالدية السيئة والقاسية من شأنها أن تؤدي إلى نتائج وخيمة على حياة الطفل تنعكس سلبا على سلوكه.

إنّ الشعور بأهمية المشكلة وخطورتها هو الدّافع إلى تناول هذا الموضوع، إذ تعد المعاملة الوالدية القاسية من أهم المشاكل الاجتماعية التي تعانيها دول العالم، كما تبرز أهميتها في كونها تنصب على مرحلة الطفولة بحيث تتفق جل تيارات علم النفس حول الاهتمام بالطفولة والبيئة الاجتماعية الأولى وأهمّيتها في تنشئة الطفل وتكوين شخصيته، إضافة إلى أنّ الطّفولة ذات التّكوين السّليم تشارك في وضع أسس الشخصية السوية، لكن إذا نشأ الطفل في غير هذا الإطار الطّبيعي أي في إطار من (سوء معاملة الوالدين) فلابد من أن تتشكّل شخصيته بطريقة غير سوية، لأنّ الأسرة تعتبر المجال الاجتماعي الأول الذي ينشأ فيه، الطفل والتي من خلالها ينمي اتجاهاته الرئيسية وأنماطه السلوكية فاكتساب النمو النفسي للطفل مقرون بمدى صلاحية الجو الأسري الذي يعيش فيه.

وللتأكيد على أهمية هذا الموضوع سوف نعرض بعض الإحصائيات في سنتي 2005م، 2006م لسوء المعاملة الوالدية في الجزائر التي مورست على أطفال يتراوح سنهم بين أقل من عشر (10) سنوات و18 سنة. حيث كان عدد ضحايا سوء المعاملة الوالدية عام 2005م يقدر بـ 414 طفلا، أما في السداسي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأول فقط من سنة 2006 فقد قدر العدد بـ 113 طفلا. (قدمت هذه الإحصائيات من طرف مسؤولة مكلفة بحماية الطفولة في الشرطة القضائية).

تعاريف العنف:

1ـــ العنف في اللغة العربية:

يقول ابن منظور:

العنف: الحَرْقُ بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق.

عَنَّفَ به وعليه، يَعْنِفُ عُنْفًا وعِنَافَةً، وأُعَنِّفُهُ تعنيفًا وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره.

واعتنف الأمر: أخذه بعنف، وفي الحديث أن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشَّر مثله.

والعنيف: الشخص الذي يحسن الركوب وليس له رفق بركوب الخيل.

وأعنف الشيء أي أخذه بشدّة.

واعتنف الشيء أي كرهه، واعتنف الأرض أي كرهها.

والتعنيف: التعبير واللوم والتوبيخ والتقريع وعنفوان كل شيء: أوله وقد غلب على الشباب من الجنسين (محمود عبد الله محمد الخوالدة، 2005: 43، 44).

2ـــ العنف في اللغات الأجنبية:

انحدرت كلمة (Violence) من الكلمة اللاتينية (Violentia) التي تعني السمات العنيفة والوحشية والقوية في آن واحد، أما الفعل العنيف فأصله كلمة (Violar) التي تعني العمل الخشن أو مخالفة كل ماهو قانوني. (Encyclopidia Universallis, Microsoft, 2000).

وتتضمن كلمة (Violentia) معاني العقاب والاغتصاب والتدخل في حريات الآخرين، وهي مشتقة أو مرتبطة بكلمة (Vis) أي القوة الفيزيائية أو البأس، أو كمية وفرة شيء ما، وهي معنى قريبة الصلة بلفظة (Bio) في اليونانية أي القوة الحية (Oxford, 1966).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3ـــ العنف في مفهوم القانون:

هو استخدام الضغط أو القسوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما والإكراه من الناحية القانونية إذا وقع على من تعاقد يكون سببا في بطلان التعاقد (مركز الإنماء القومي، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، العدد 27 خريف 1983: ص 19).

3ـــ العنف من منظور سوسيولوجي:

يعرّف العنف سوسيولوجيا بأنه الإيذاء باليد أو باللّسان بالفعل أو بالكلمة في الحقل التّصادمي مع الآخر، وعملية الإيذاء هذه تارة تكون فردية حيث يقوم شخص ما باستخدام اليد أو اللسان بشكل عنيف تجاه شخص آخر، ويطلق على هذه العملية (بالمتسلط الأنوي)، وتارة يكون العنف جماعيا ويطلق عليه (المتسلط الجمعي) إذ تقوم مجموعة بشرية ذات خصائص مشتركة باستخدام العنف أو القوة كوسيلة من وسائل تحقيق تطلعاتها الخاصة أو تطبيق سياقها الخاص على الواقع الخارجي.

وتجدر الإشارة إلى أنه نظرا للتعريفات المختلفة للعنف تم تصنيف هذه التعريفات إلى اتجاهين أساسيين هما:

الاتجاه الأول/ ينظر إلى العنف باعتباره الاستخدام الفعلي للقوة أو التّهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص وإتلاف الممتلكات.

الاتجاه الثاني/ ينظر إلى العنف باعتباره تعبيرا عن أوضاع هيكلية بنيانية أي مجموعة من المقومات والسمات في البنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ولذلك يطلق عليه اسم العنف الهيكلي أو البنياني حيث أنه غالبا ما تؤدي حالة العنف الهيكلي التي تفجر العنف السلوكي الذي يتضمن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها للاحتجاج على الاستمرار في الأوضاع البنيانية والعمل على تغييرها (محمد عبد الله محمد الخوالدة، 2005: 60).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعاريف بعض الباحثين:

يقول حسنين توفيق إبراهيم: «أن العنف ظاهرة مركبة لها جوانبها السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية وهو ظاهرة عامة تعرفها كل المجتمعات البشرية بدرجات متفاوتة» (وديع شكور خليل، 1997: 30، 31). أمّا «ويلسون Wilson» فيعرفه بأنه «ممارسة القوة البدنية لإنزال الأذى بالأشخاص أو الممتلكات كما أنه الفعل أو المعاملة التي تحدث ضررا جسيما أو التدخل في الحرية الشخصية» (حلمي إسماعيل جلال، 1999: 9). في حين يذهب «ف. دودسون F. Dodson» إلى القول: «إن العنف هو الشعور بالغضب أو العدوانية تتجسد في أفعال دامية جسديا أو بأعمال تهدف إلى تدمير الآخر» (وديع شكور خليل، 1997: 22).

أمّا «مصطفى حجازي» فيعرفه بأنه «لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، وحين تترسخ القناعة لدى الفرد بالفشل في إقناع الآخرين بكيانه وقيمته، وهو الوسيلة الأكثر شيوعا تتجنب العدوانية التي تدين الذات الفاشلة بشدة من خلال توجيه هذه العدوانية إلى الخارج بشكل مستمرّ أو دوري وكلّما تجاوزت حدود الاحتمال الشخصي» (حجازي مصطفى، 1996: 294).

أنماط أو أنواع العنف:

العنف ظاهرة خطيرة مست جميع المجالات، ونجدها على مستوى كل الأفراد والجماعات لكن بصور ودرجات مختلفة بحيث أننا نجد عنفا في شتى مجالات الحياة في مجال العمل، الرياضة، الدراسة، المحيط الأسري، ونظرا لكثرة مجالاته نحاول تسليط الضوء وبصورة دقيقة على بعض أشكاله:

1ـــ العنف الفردي:

هو عنف نفسي اجتماعي ينتجه الفاعل أي الفرد الذي يمارس عملية العنف وهو يتميز بصفات معينة ويميل إلى ارتكاب العنف متى سمحت له الظروف حيث أن المجرم العنيف يكون ممتلئا باليأس والسخط والضجر والتذمر من المجتمع بما فيه فيغزوه طابع الاستجابة الشديدة فيسعى لتحقيق ذاته على حساب الآخرين (عزت سيد اسماعيل، 1998: 28).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عادة ما يتصف مرتكب العنف الفردي بخصائص تجعله يميل إلى السلوك العنيف أينما هيئت له الظروف، ويصنف مرتكبو العنف الفردي إلى ثلاثة أصناف:

أ) المتطرفون/ وهم أشخاص يصبح العنف لديهم جزءا أساسيا من سلوكهم.

ب) الخلق المتسلط/ أطلق هذه التسيمة «إريك فروم» « Eric From » ويتصف هؤلاء بنمط شخصية سادي مازوخي (مازوشي)، ولديهم إتجاهات معينة نحو التسلط تستهدف أساسا ما حدده الزعيم لهم ويلعب عنف هذه الفئة دور الحفاظ على الدور الذي حدده المجتمع للفرد أو الدفاع عن صور الذات.

ت) أما الفئة أو الصنف الثالث فيتضمن أولئك الذين يدركون أنفسهم وحاجاتهم، ومطالبهم باعتبارها الحقيقة الوحيدة في هذا الوجود الاجتماعي دون أي اعتبار لحاجات ومطالب الآخرين، ويشتقون اللذة من ممارسة العنف وإثارة الفزع لدى أفراد آخرين يمكنهم تقبل ذلك (عزت سيد اسماعيل، 1998: 118، 119).

2ـــ العنف الجماعي:

تتعرض كثير من المجتمعات لآفات السّلب والنّهب والسّرقة والقتل والتّخريب، وهذا النوع من العمل العدواني يعتبر عنفا جماعيا يهدف إلى تحقيق الاستقلالية الذاتية التي تحرره من الضغوط الداخلية والخارجية لاسترجاع حقه ومكانته، على عكس العنف الفردي الذي تنمو الدافعية إليه من خلال تفاعل العديد من العوامل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والعقائدية، وأن هذه العوامل عادة ما تكون بارزة في أذهان المشتركين في العنف الجماعي ويسعون للتعبير عنها (نبيل رمزي، 1991: 127).

ويعبر العنف الجماعي عن التقاء قوى الإنسان الذاتية بقوة غيره، وإن تنظيم هذه القوى داخل إطار المجتمع يفترض أنهما يميلان إلى تحقيق العنف الذي يستمد منها مصدره، إلا أنه يبدو في الواقع أن التربية والقانون، وضروريات الحياة الاجتماعية وحياة الجماعة بدلا من أن تقلص من هذه القوة التي تقوم على العنف، فهي تدعمها وتنسقها حيث تجعل مرحلة العنف محتملة (إلياس زحلاوي، 1975: 28).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 ــ العنف المنظم:

يعتمد هذا النوع من العنف على خطط وبرامج منظمة ومدروسة كالعصابات العامة والأحزاب المتطرفة، ويوجد هذا النمط من العنف في الأنظمة التي تستعمل التسلط والقهر وذلك للتحكم في أفراد مجتمعها كما هو الحال في الحروب، حيث نجد أن معظم الدول تصرف أموالا طائلة لتطوير أدوات القتال والتدمير الشامل، وهذا هو حال اللصوص الذين يصلون إلى أعلى مراتب الريادة بفضل السرقة فتنطبع لديهم صفة رجال الأعمال بدل اللّصوصية (جمال معتوق، 1993: 54).

4ــ العنف الرّمزي:

يقصد به ممارسة سلوكات ترمز إلى احتقار الآخرين ومن مظاهره الامتناع عن النظر إلى الآخر ورد السلام عليه أو توجيه الانتباه إلى ما يلحق به من الإهانة (تجاهل، لا مبالاة)، وهو أيضا الذي يلحق الضرر بالموضوع سيكولوجيا في الشعور الذاتي بالأمن والطمأنينة والكرامة والاعتبار والتوازن (كاظم ولي آغا، 1981: 228).

5 ــ العنف المشروع:

هو ذلك العنف الذّي يستند على أرضية مشروعة من القوانين والأعراف أو الأنظمة أو القيم والعادات والتّقاليد. ومثل ذلك عنف بعض ألعاب القوى والمباريات، أو ذلك العنف الذي تقتضيه طبيعة الواجب الرّسمي ويعتبر كنوع من أنواع استخدام القوة لانتزاع الحقوق أو لإقرارها على النّحو الذّي يرفع الظّلم كطرد الاحتلال والدّفاع المشروع عن النّفس (المرصد الوطني لحقوق الإنسان الجزائر، 1997: 133).

6 ــ العنف الجسدي:

ويقصد به أية إصابة يتعرض لها الشخص (الطفل) ولا تكن ناتجة عن حادث، وقد تتضمن الإصابة الكدمات أو آثار ضربات أو لكمات بالجسم أو الخنق والعض والمسك بعنف وشد الشعر والقرص والبصق أو كسور في العظام أو الحرق أو إصابة داخلية أو حتى الإصابة المؤدية إلى الموت (فهمي مصطفى السيد، 2000: 245).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7 ــ العنف الكلامي:

يقف عند حدود الكلام ويتمثل في الشتم والسب والقذف بالسوء وأحيانا ترافقه مظاهر الغضب والتهديد (عزت سيد اسماعيل، 1998: 121).

8 ــ العنف الجنسي:

والمقصود به التعدي الجنسي وهو ليس بالمنتشر بكثرة كباقي الأنواع لكنه خاص بمجموعة من الأفراد تقوم به قصد إشباع حاجاتها الغريزية المتوحشة أو قصد إهانة الشخص المعتدى عليه والأفضع منه ما يمارس على أضعف مخلوقات الله وأبرئها وهم الأطفال.

9ــ العنف الإجرامي:

يعتبر هذا النوع من أعلى مراتب العنف والذي يحول دون تطوّر المجتمع ونموّه ويصيب البنية الاجتماعية بالشّلل ويعتبر الإرهاب من أعلى درجات العنف الإجرامي كونه يسبب اللاّأمن ويلحق الضرر بالأبرياء ويحطم هياكل المجتمعات ويعيق مسار تنميتها وازدهارها (عزت سيد اسماعيل، 1998: 121).

إضافة إلى هذه الأنماط هناك نمط آخر تحدث عنه سليمان مظهر (جامعة الجزائر) في كتابه الصادر عام 1997، والوسوم بـ (العنف الاجتماعي في الجزائر) هذا العنف سماه بالعنف الاجتماعي، ويعتبر حسبه من أكثر أنواع العنف انتشارا في مجتمعنا.

أسباب العنف:

إنّ أسباب تفشي ظاهرة العنف متعددة والعوامل المساعدة على انتشاره كثيرة ممّا يؤدي إلى انتشار الفساد وكلها نتائج تؤثر سلبا على المجتمع حاضرا ومستقبلا فيعيش أفراد المجتمع الاضطراب، القلق، اللاأمن، ويمكن تلخيص أو حصر أسباب العنف فيما يلي:

1 ــ العامل الاجتماعي والاقتصادي:

إن أول الأسباب التي تدفع بالفرد لممارسة العنف هو العامل الاجتماعي والاقتصادي الذي يعيشه أفراد المجتمع أو الأسرة من فقر وبطالة وعدم التكافؤ الاجتماعي، محدودية دخل الأسرة، وغيرها من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العوامل التي تكون سببا في إحداث الضغط وجعل نفوس الأفراد (وخاصة الشباب) حقلا خصبا لكل الأفكار المغرية، وأمّا (الآباء والأمّهات) فالزّوج لا يجد حلاّ سوى تفريغ غضبه على زوجته وأبنائه، والأم بدورها تنقل عنفه إلى أبنائها والطّفل ينقله إلى الخارج في شكل جنوح وعدوانية، وهكذا تبقى سلسلة العنف تدور في حلقة الأسرة بسبب وضع اجتماعي واقتصادي صعب. (الجميلي خليل خيري، 1999: 45)

2 ــ العامل الأسري:

تعدّ الأسرة المصدر الرّئيسي في عملية التّنشئة الاجتماعية لما لها من دور كبير في رعاية الطفل، فإذا كانت هذه التنشئة غير سليمة فسوف تنعكس على تربية الطّفل.

فالأسرة التي يغيب فيها الحوار والاتصال ويسودها الإهمال الكلي واللامبالاة نجد أن أفرادها هم أكثر الناس ممارسة للعنف، كذلك يؤدي وجود ظاهرة التفكك الأسري بسبب الطلاق، وغياب أو مرض أحد الوالدين، وتوتر العلاقات الاجتماعية الأسرية، ويترتب عن التفكك الأسري نقص الإشراف العائلي للوالدين، وهنا يكتشف الطفل المتروك أن ليس له أي تأثيرات ضبطية وقائية، كما أنه ليس هناك تأثيرات تربوية إنشائية وهذا ما قد يؤدي بالطفل لأن يقوم ببعض التصرفات غير الاجتماعية للحصول على ما يرغب فيه (الجميلي خليل خيري، 1999: 46).

3 ــ المستوى التعليمي للأسرة:

إنّ للمستوى التّعليمي للأسرة دور كبير في ممارسة الفرد للعنف بحيث تؤكد البيانات أن حوادث الضّرب تكثر بين غير المتعلمين، ويبدو أن حصول الزوجة على نصيب أوفر من التعلم يخلق نوعا من التوتر وعدم التوازن يؤدي إلى رد فعل من قبل الزوج فيعوض النقائص من جانبه باحثا عن المناسبات التي يستخدم فيها تفوقه العضلي (التير مصطفى عمر، 1997: 26).

بالإضافة إلى الدّور الذّي يلعبه رفقاء السّوء من أبناء الجيران ورفقاء الحيّ والزّملاء في القسم، فالطّفل المهمل من طرف أسرته يجدُ البديل في أقرانه فهو يحاول إثبات وجوده في وسطهم باستعمال القوة والعنف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4 ــ العامل السياسي:

للعامل السّياسي هو الآخر دور في إفراز العنف فعندما تتسلط الإدارة على المواطن وتسيطر على شؤون المجتمع يصبح الفرد لا يسأل عن الطريق القانونية للقيام بنشاط ما، بل يبحث عن من له نفوذ في السّاحة الإدارية لتحقيق أغراضه حتّى لو كانت غير قانونية، ولكن هناك من أفراد المجتمع – وهم كثر – غير المتمكنين يشعرون بخيبة أمل خاصة لدى الشباب، ويقول علماء الاجتماع أن السّياسة التي تعالج أمور المجتمع تكون بالملموس لا بنظرة السّياسي الذّي يعيش فوق المجتمع سابحا في النظريات الفوقية، فإذا مورست سياسة التفرقة بين أفراد المجتمع فلا شك أن ذلك سيؤدي إلى فقدان الثقة وهذا ما يؤدي إلى العنف (الدر إبراهيم، 1994: 63).

5 ــ العوامل البيولوجية والمرضية:

لهذه العوامل تأثير في ممارسة العنف بحيث تشير الدراسات الحديثة إلى أن الأفراد ذوي الاضطرابات العقلية الخطيرة هم أكثر عنفا في سلوكهم، بحيث وجد أن نسبة 70٪ ممن يعانون صدمات مرضية أصابت منهم الدماغ يستجيبون بعنف وعدوانية لأتفه المثيرات ولأسخف الأسباب.

6 ــ الأسباب النّفسية:

إنّ مرتكبي العُنف هم الأشخاص الذّين يشعرون بخيبة الأمل أو فقدان الأمل حيث يحسّ الفرد العنيف بالراحة إذا ما قام بأعمال العنف، ويرى العديد من علماء النفس أن العنف نمط من أنماط السلوك ينتج عن حالة إحباط ويكون مصحوبا بعلامات التوتر ويحتوي على نية مبيتة لإلحاق ضرر مادي أو معنوي بكائن حي أو بديل عن كائن حي (خليل وديع شكور، 1997: 31).

ويرى «هيزنارد Heznard» أن العنف كغيره من أشكال السّلوك هو نتاج مأزق علائقي يحدث التدمير لذات الشخص في نفس الوقت الذي ينصب فيه على الآخر لإبادته فتشكل العدوانية طريقة معينة للدخول في علاقة مع الآخر. (Heznard. M. 1963: 300).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعتبر هذه العوامل السّالفة الذكر من الأسباب المعجلة والمفجرة التي تعمل عمل البارود للوقود المعد والمهيأ أصلا للاشتعال، ولذلك فهذه العوامل هي عبارة عن القشة التي قصمت ظهر البعير أو القطرة التي ملأت المحيط.

وقد يكون السبب المفجر هذا بسيطا جدا إذا كان الإنسان يعاني الأسباب المهيئة أو الإستعدادية أو الضغوط وخيبات الأمل والحرمان والقسوة.

الدّراسات التي أجريت في هذا الموضوع:

هناك الكثير من الدّراسات التي استهدفت التعرف على العلاقة بين أسلوب الآباء في تربية الأبناء وبين سلوك الأطفال العدواني.

ففي دراسة قام بها معهد توجيه الطفل في السنوات الأخيرة بولاية (متشيقن) بأمريكا تحت إشراف كل من (هيون) و(جنكز) شملت 500 طفل، تمكن الباحثان في هذه الدراسات من الربط بين معاملة والدية معينة وبين سمات سلوكات منحرفة عند الآباء، وكانت نتائج الدراسة كالتالي:

حيث وجد أن هناك علاقة بين العدوان غير الاجتماعي الذي يظهر فيه الأبناء العنف والقسوة والحقد والرّغبة في حيازة السّلطة لديهم، وبين سلوك الرّفض من جانب الوالدين.

كما اتضح وجود علاقة بين ألوان السّلوك الجانح الذّي يبدو من خلاله الابن على صلة بالجانحين من الرّاشدين وبين سلوك الإهمال من جانب الوالدين (منصور سالم مديحة، 1996: 140).

كما يشير الباحثان (هيون) و(جنكز) إلى أنّ إهمال الوالدين لطفلهما يدفعه إلى انتهاج السلوك العدواني كردة فعل على رفضهما له وإهماله ويسهم في التحاقه براشدين منحرفين يؤيدون سلوكه العدواني ويقودونه إلى الانحراف.

ونجد دراسة (سيرز Sears، 1951) الذي وجد أن الصبيان الذين نشأوا في بيوت مع الآباء كانوا أقل عدوانا مقارنة بأقرانهم الذي غاب الأبّ عن منازلهم (منصور سالم مديحة، 1996: 215).

وتؤكد نتائج (باندورا Bundura) و(والترز Walters) عام 1959، أن نسبة 95٪ من الأطفال العدوانيين ينتمون إلى منازل أو أسر أحد الوالدين فيها نابذ للطفل وجدانيا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك وجد (جيرسيك Gursec) عام 1966، أن الآباء الذين يستخدمون الثواب يجعلون الطفل أكثر استعدادا لنقد نفسه أكثر من لوم الآخرين له، وهذا مقارنة بالآباء الذّين يستخدمون الثواب والعقاب (العيسوي محمد عبد الرّحمن[1]، 1994، 216).

فالمدرسة السلوكية في علم النفس Behaviorism تحبذ استخدام الثواب بدل العقاب، لأن هذا الاخير قد يولد العدوانية لدى الطفل بفعل النمذجة Modeling.

وبينت دراسات عدة صحة هذا القول، ففي دراسة مسحية قام بها (سيرو Searo) حول الإفراط في استخدام العقاب البدني والتي أجراها على (400 من الأمهات) تبين أنهن يكثرن من معاقبة أولادهن وهذا ما يرتبط إيجابيا، بمستوى عدوانية هؤلاء الأطفال (بن درويش زين العابدين، 1993: 40).

هذا يعني أنه كلما مارس الوالدان العقاب البدني (خاصة الأم) تولدت العدوانية لدى الطفل المعاقب أو الذّي سلّط عليه العقاب البدني.

كذلك بيّن (سوشاين – Suchein) أن العدوانية لدى الأطفال ترتبط إيجابيا بشدة القسوة في العقاب والرفض وعدم القبول وعدم الرّضى من جانب الأم عن السّلوكات التي تصدر عن الأبناء، وأيضا الأب الذي ينهر ابنه فيعنفه ويصفه بالجبن والتخاذل لأنه لم ينتقم من خصمه ولم يبادله اللكمات أو الضّربات، كما قد يقوم الأب بالشجار مع زوجته الذي يتفاوت بين الضرب والصفع أو الكلام اللاذع وهذا ما يجعل الطفل يتشرب النزعات العدوانية.

كما أظهرت دراسة (ساند Sand) وآخرين حول علاقة السّلوك العدواني بدرجة العقاب الجسدّي للوالدين، أن الأطفال ذوي السلوك العدواني المرتفع هم الذّين تعرضوا باستمرار للعقوبات الجسدية بين ستة أشهر وست سنوات (René Zazzo, 1973: 12).

ففي هذه المرحلة العمرية يتعلّم الطفل الكثير من السلوكات عن طريق الوالدين فيصبح يعتبر العدوانية حلاّ لمشكلاته وكأسلوب اجتماعي للوصول إلى الهدف المنشود.

دراسة (ألبرت جاك) و(أوراسون) عام 1967م أجريت هذه الدراسة بنيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية وكان الهدف منها هو معرفة العلاقة بين كيفية تنشئة الأم للطفل وتأثير ذلك على اكتساب سلوكاته، وقد أجريت على عينة من التلاميذ بلغ عددهم ثمانون (80) تلميذا وكانت النتيجة أن الأمهات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللائي يستخدمن القوة والعنف والشدة في تنشئة أطفالهن كان هؤلاء الأطفال ضعاف الشخصية وكان تحصيلهم الدّراسي رديئا وعلى العكس من ذلك كان عند التلاميذ الذين تستخدم أمهاتهم الليونة في تنشئتهم.

ولقد كان لأعمال (باترسون) عام 1976 أهمية خاصة في هذا المجال ذلك أن استنتاجاته ارتكزت على ملاحظته الفعلية لأسر لديها أطفال عدوانيون وأطفال غير عدوانيين وقد تم اختيار الأطفال العدوانيين لمشروع بحث (باترسون) من المدارس والمراكز الطبية والعيادات التي تعالج الاتجاهات المضادة للمجتمع (السلوك السيكوباتي) والسلوك العدواني وقد شكلت البيئات الأسرية للأطفال العدوانيين والأطفال غير العدوانيين ضروبا مختلفة ليس فقط لأن آباء الأطفال العدوانيين يقسون عليهم في كثير من الأحيان بل لأنهم كانوا يعاقبونهم في الغالب عندما كان تصرف الطفل يبدو مناسبا.

ولقد كان للعقاب تأثير مختلف جدا على الأطفال العدوانيين والأطفال غير العدوانيين، بحيث وجد (باترسون) أن الأطفال لم يكونوا ضحايا فقط في هذه العملية ولكن غالبا ما أظهروا نشاطا تميز بردود أفعال تأديب والديهم على سوء سلوكهم وهذا معناه أن الآباء وأطفالهم يتأثر كل منهم بالآخر ويعطي أنماطا متباينة عن السلوك العدواني (مجدي أحمد عبد الله، 1997: 234).

كما قام الباحث (سيرزس Sears) بدراسة تناولت 379 من الأمهات الأمريكيات لآبناء في عمر خمس سنوات وتناولت الدراسة سؤال هاته الأمهات عن السّلوكات التي يعاقبن أطفالهن عليها، وقد كشفت هذه الدراسة على أن الوالدين الذين يستخدمون نمطا صارما من التأديب ينزلون العقاب بأبنائهم لأتفه الأسباب، يشب هؤلاء الأطفال على قدر هام من العدوانية (العيسوي محمد عبد الرحمان[2]، 2001: 33).

ومن خلال دراسة قام بها (أجورياقيرا Adjuriaguerra) توصل من خلالها إلى أن الطفل الذي يكون في مرحلة الكمون (الطفولة المتأخرة) والذي اعتاد العقاب الجسدي والضرب يستجيب إما بجمود أو برغبة جامحة للثورة والغضب مع المرور إلى الفعل الذي يمكنه أن يصل إلى الانحراف. (Adjuriaguerra. A.D., et Marcelle, 1982: 18).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبينت دراسة (فرنتزي Frenczi) الأثر البالغ الذي تخلفه سوء المعاملة الوالدية وأثر النقائص العاطفية والصّدمات النّفسية في ظهور السّلوك العدواني عند الطّفل.

كما أثبتت دراسات أخرى أن هناك معامل ارتباط عال بين التجاهل والسّلوك العدواني.

والنتيجة نفسها توصلت إليها دراسات كل من (كوهين Kohen) عام 1972م، و(كوركرز Coworkers) و(ليفكوايت Lefkowit) عام 1977م، حيث أثبتت أن تساهل الآباء مع العدوان يزيد من ميل الطفل نحو السلوك العدواني (منصور جميل محمد يوسف، 1981: 162-165).

وتوصلت دراسة (ستيرن Stern) عام 1985 إلى أن عدوانية الأطفال تكون كرد فعل على تجارب الخطر التي يعيشها الطفل ونجد من بينها الانقطاع في التوافق الانفعالي بين الأم والطّفل.

وهناك دراسة (واي Wey) عام 1988م، التي كانت تهدف إلى محاولة فهم الأسباب التي تجعل الوالدين يسيئان لأطفالهما بنفس الطريقة التي تمت الإساءة بها عليهم من طرف والديهما، وقد شملت الدراسة خمسة أنواع من الإساءة إلى الأطفال هي: الإساءة اللفظية، الجسمية، الجنسية، الإهمال الجنسي والانفعالي وأشارت النتائج إلى وجود ارتباط إيجابي مرتفع بين شكل الإساءة التي تعرض لها الأبوان من قبل آبائهم سابقا مع شكل إساءتهم لأطفالهم في الوقت الحاضر.

الدّراسات العربية:

أمّا عن الدراسات العربية فنجد بحوثا ودراسات ميدانية عديدة تمت للكشف عن تأثير أساليب التنشئة الاجتماعية على عدوانية الأبناء.

فقد توصلت دراسة (ليلى متولي) عام 1985م إلى ارتباطها بالتشدد أكثر من التسامح والتسيب أكثر من الحماية والميل إلى العقاب أكثر من الثواب.

وتوصل (محي الدين حسين وآخرون) عام 1985م إلى نتيجة مشابهة حيث ارتبط السلوك العدواني بالتشدد وعدم الاتساق في المعاملة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهدفت دراسة (هند خلقي) التي أجرتها بالأردن إلى معرفة العلاقة بين الإساءة للطفل وبين المتغيرات الديمغرافية للأسرة، وقد دلت النتائج على أن الأطفال تقع عليهم الإساءة بغض النظر عن جنسهم (الشقيرات محمد عبد الرحمان، 2001: 11، 12، 13، 23).

وتوصلت دراسة (الكامل وسليمان) عام 1990م إلى وجود تأثير لكل من التسلط في المعاملة والإهمال على السّلوك العدواني للأبناء.

وفيما يتعلق بتأثير الطبقة أو المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة على عنف الأبناء يكاد يكون من المتفق عليه أن أبناء الأسر التي تنتمي إلى مستويات اجتماعية اقتصادية منخفضة يكون سلوكهم العدواني أكثر من سلوك زملائهم المنحدرين من أسر تنتمي إلى مستويات اجتماعية اقتصادية مرتفعة – مثل دراسة (هيرون Heron) عام 1961م و(ممدوح سلامة) عام 1990م و(جوزيت عبد الله) عام 1992م. (حافظ نبيل وفتحي قاسم، 1993: 10).

وهناك دراسات أخرى حول العلاقة بين المعاملة الوالية والانحراف مثل دراسة: (محمد علي حسين) عام 1970م، ودراسة (سعدي لفتة موسى) 1973، ودراسة (جعفر عبد الأمير) عام 1981م ودراسة (هارون توفيق الراشدي) عام 1986م، ودراسة (عباس بوفريوة) عام 1987، وأخيرا دراسة (محمد عبد الرحمان الشقيرات) و(عامل نايل المصري) عام 2001، التي أجريت بالأردن محافظة الكرك بهدف حصر الألفاظ الشائعة التي يستخدمها الوالدان في الإساءة اللفظية وتكرارها وعلاقتها بالمتغيرات الأسرية. وقد دلت النتائج على أن الإناث أكثر تأثرا بالإساءة اللفظية من الذكور، وأن الأطفال الذكور أكثر تعرضا لتكرار الإساءة اللّفظية من الإناث (الشقيرات محمد عبد الرحمان، 2001).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع:

1- الجميلي خليل خيري (1999): «السّلوك الانحرافي في إطار التخلف»، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.

2- الدّر إبراهيم (1994): «الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان»، دار الفكر، ط1.

3- التير مصطفى عمر (1997): «العنف العائلي»، أكاديمية نايف العربية للعلوم الطبيعية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

4- المرصد الوطني لحقوق الإنسان بمشاركة منظمة اليونسكو ومساهمة المنظمة العالمية للصحة، الجزائر (1997).

5- العيسوي محمد عبد الرحمن (1994): «المشكلات النفسية عند الأطفال»، دار الفكر العربي، ط1.

6- العيسوي محمد عبد الرحمن (2001): «التربية النفسية للطفل والمراهق»، دار الراتب الجامعية، الإسكندرية، مصر.

7- الشقيرات محمد عبد الرحمن (2001): «ظاهرة العنف في المجتمعات»، دار الفكر، بيروت، لبنان.

8- بن درويش زين العابدين (1993): «علم النفس الاجتماعي أسسه وتطبيقاته»، مطابع زمزم، ط1.

9- جمال معتوق (1993): «وجوه من العنف ضد النساء خارج بيوتهن»، رسالة ماجستير غير منشورة، علم الإجتماع الثقافي، جامعة الجزائر.

10- وديع شكور خليل (1997): «العنف والجريمة»، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1.

11- حافظ نبيل وفتحي قاسم (1993): «دليل مقياس عين الشمس لأشكال السلوك العدواني لدى الأطفال»، مكتبة الأنجلو المصرية.

12- حجازي مصطفى (1996): «مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور»، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، ط1.

13- حلمي إسماعيل جلال (1999): «العنف الأسري»، دار قباء للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية.

14- كاظم ولي آغا (1984): «علم النفس الفزيولوجي»، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

15- مجدي أحمد عبد الله (1997): «الطفولة بين السواء والمرض»، الناشر غير مذكور.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

16- محمود عبد الله محمد الخوالدة (2005): «علم النفس الإرهاب»، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

17- منصور جميل محمد يوسف (1981): «قراءات في مشكلات الطفولة»، شركة مكة للطباعة والنشر، جدة، السعودية.

18- منصور سالم مديحة (1996): «مجلة علم النفس»، العدد 39.

19- مركز الإنماء القومي، مجلة الفكر العربي، بيروت، لبنان، العدد 27، خريف 1983.

20- نبيل رمزي (1991): «علم الاجتماع المعرفة»، إيديولوجية الإكراه الديني والإرهاب السياسي، دار الفكر الجامعي، مصر، ط1.

21- عزت سيد إسماعيل (1998): «سيكولوجية الإرهاب وجرائم العنف»، الكويت، ذات السلاسل، ط1.

22- فهمي مصطفى السيد (2000): «أطفال الشوارع مأساة حضارية في الألفية الثالثة»، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1.

23- Encyclopida Universallis, Micrsoft, 2000.

24- Adjuriaguerra. A.D., et Marcelle (1982): Psychologie de l'enfant », Masson, Paris.

25- Heznard. (1963): « Psychologie du Crime », Paris, payot.

26- René Zazzo (1973): « Le traité de psychologie de l'enfant ».

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com